د/ أحمد الطيب
أستاذ الفلسفة
كلية أصول الدين — جامعة الأزهر

مدخل لدراسة المنطق القديم

دار الطباعة المحمدية
٣٠ درب الأتراك بالأزهر - القاهرة

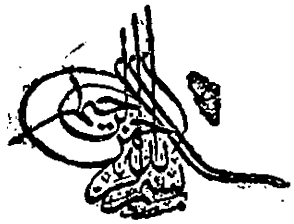

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

تصـــدير

تحاول هذه الصفحات أن تعرض خلاصة مركزة لمـادة : « المنطق القديم » ممثلا فى قسميه الشهيرين عند المناطقة المسلمين وهما : التصور والتصديق .

وقد كان نصب أعيننا ونحن نعالج المسائل المنطقية التى اشتملت عليها هذه الصفحات أمران :

الأمر الأول : عرض المعلومات بأسلوب سهل ميسور قدر الإمكان، وهذا أمر تمليه طبيعة المرحلة الحاضرة حيث تندر نوعية الطلاب القادرين على التعامل بشكل مباشر مع النصوص القديمة لهذا العلم ،فضلا عن استيعابها والإفادة منها فى نهاية المطاف .

الأمر الثانى : الإقتصار على أهم المباحث المنطقية ، وهو أمر فرضته المساحة الزمنية المحددة لتدريس هذه المادة مما أضطرنا إلى أن نضرب صفحاً عن تفريعات وتقسيمات شتى إن فى مباحث الألفاظ أو التعريف أو نظرية الإستدلال بقسميه : المباشر والغير المباشر،كل ذلك أملا فى أن يصل أكبر قدر ممكن من المعلومات المنطقية إلى الطلاب فى صورة مألوفة ومأنوسة لديهـــم .

وإننى لأرجو أن تلبى هذه الدراسة بعضاً من طموحات المنهج المقرر وأن يجد فيها الطلاب أسساً أو أصولا تمكنهم من الإنطلاق فى هذه المادة إلى آفاق أوسع وأرحب . والله ولى التوفيق ؟

د / أحمد الطيب

مقدمة

الحاجة إلى علم المنطق :

أمران بهما يتميز الإنسان فى المقام الأول عن بقية الكائنات التى تشاركه فى الحياة على مسرح الكون ، أولهما : التفكير أو العقل ، وثانيهما : الكلام أو اللغة ، وبرغم ما يقال من أن الحيوان يشارك الإنسان فى بعض العمليات المعقدة كالتفكير والذكاء ، فإن مما لاشك فيه أن الإنسان يفارق كل أنواع الحيوانات الأخرى بقدرات ذهنية لا نجدها عند هذه الحيوانات وذلك مثل قدرته على نقل أفكاره وخواطره إلى خارج ذاته ، بل الإنسان هو الكائن الوحيد الذى يتمتع بالقدرة على الحكم بالصواب والخطأ ، أو الصدق والكذب على ما يراه ويسمعه ، وهو الكائن الوحيد أيضا الذى يستمتع بقدارت ذهنية معقدة تتمثل فى مجال المقايسة والمضاهاة والاستنتاج والاستنباط وربط النتائج بمقدماتها .

وإذا أردنا أن نصف الإنسان بصفة تعزله تماما عن بقية الكائنات الأخرى فإن بامكاننا أن نصفه بأنه «كائن مفكر» .

ولا يعنى ذلك أن الإنسان ما دام مفكراً فهو يفكر دائماً بطريقة منطقية صحيحة ، بل هو — على العكس — كثيرا ما يخطأ فى استعمال عقله أو تفكيره الاستعمال السليم فيستنتج نتائج خاطئة من مقدمات صحيحة أو من مقدمات خاطئة أيضا ، وقد يلتبس عليه الأمر فى التفكير فيظن أن «أ» علة فى «ب» ، بينما العلة الحقيقية قد تكون «ج» مثلا ، وإذا كان من المسلم به أن يخطأ الإنسان فى استعمال لغته وفى اختيار الفاظه وبالتالى يصبح فى حاجة إلى قانون يراعيه فى الكلام ليعصمه عن الخطأ الذى قد ينشأ من

استعمال اللغة استعمالا خاطئاً ، وهو ما تكفل به علم النحو أو علم اللغة بشكل عام — فمما لا شك فيه أن الإنسان محتاج أيضا إلى قانون يراعيه ليعصمه عن الخطأ فى التفكير .

هذا القانون الذى تشتد إليه حاجة الإنسان باعتباره كائنا مفكرا هو : علم المنطق .

تعريف علم المنطق :

يعرفه المناطقة المسلمون بأنه « آلة قانونية تعصم مراعاتها الإنسان عن أن يضل فى تفكيره »(١) .

فمراعاة المنطق أو القانون المنطقى تحول دون وقوع الإنسان فى الخطأ فى التفكير ، وكلمة «مراعاتها» لا تعنى أن كل من تعلم المنطق وهضم قواعده أصبح معصوما من الوقوع فى الأفكار الخاطئة ، بل تعنى أن من يراعى هذه القواعد ويطبقها ويتفطن إليها أثناء التفكير هو الذى يستطيع أن يتجنب الخطأ بصورة مؤكدة ، وذلك مثل النحو فإن مجرد تعلمه ومعرفته لا يكفى لأن يضبط المرء أواخر الكلمات ضبطا نحويا صحيحا ، بل لا بد من مراعاة قواعد علم النحو وتطبيقها حتى يمكن ضبط الكلام ضبطا صحيحا .

---

(١) ابن سينا : الاشارات والتنبيهات ، المنطق ط. سليمان دنيا القاهرة ١٩٤٧ ص ٢٣

واضع علم المنطق :

يمكن الرجوع بجذور هذا العلم إلى عصر السوفسطائيين الذى كانوا يعتمدون على البراعة فى الخطابة والتلاعب بالألفاظ ، والتأثير على الناس بكلام يبدو من ظاهره أنه كلام متقن ومعقول بينما هو — فى حقيقة الأمر — كلام مزيف إلى حد بعيد جدا، وقد تصدى لهم الفليسوف اليونانى الشهير «سقراط» واستطاع ان يكشف مغالطاتهم التى كانوا يضللون بها الناس عن طريق حجج وتعاريف حدد بها المفاهيم التى كانوا يزيفونها .

وهنا نستطيع أن نقول : ان البدايات الأولى لعلم المنطق ولدت على يد هذا الفليسوف اثناء مجادلته للسوفسطائيين .

أما اكتمال علم المنطق وتنظيمه وتقعيده ، فقد كان على يد «أرسطو» الفليسوف اليونانى المعروف (٣٨٤-٣٢٢ ق. م) ومن هنا يعتبره المؤرخون الواضع الحقيقى لعلم المنطق ، بل إن هذا العلم ينسب إليه فيقال : « المنطق الأرسطى » .

ثم جاء تلاميذ أرسطو فجمعوا مؤلفات أستاذهم المنطقية وأطلقوا عليها اسم «الأورجانون» أى الآلة ، ومنذ ذلك الوقت والمنطق الارسطى يحتل مكانة عالية فى الفكر البشرى كله بل ظل هو المنهج الوحيد الذى توزن به الأفكار والعلوم والمعارف وظل هكذا طوال العصور الوسطى ولم يتزحزح عن مكانته هذه إلا مع بداية العصر الحديث(١) .

---

(١) د. محمد مهران : مدخل إلى المنطق الصورى دار الثقافة — القاهرة ١٩٨٦ م ص ٩

المنطق الارسطى عند المسلمين :

عرف المسلمون المنطق الارسطى فى وقت مبكر نسبيا بالنسبة للتاريخ الإسلامى ، وتختلف الروايات حول تحديد الفترة التى انفتح فيها المفكرون المسلمون على هذا العلم ، فبعضها يذكر أن المنطق اليونانى ترجم إلى اللغة العربية فى العصر الأموى ، وبعضها يذكر أن ذلك تم فى العصر العباسى فى عهد الخليفة : « أبى جعفر المنصور » ، وأن عبد الله بن المقفع هو الذى اضطلع بترجمته إلى العربية »(١) .

ومهما يكن من أمر تحديد هذه الفترة فإن المسلمين قد عرفوا المنطق الارسطى ضمن ما عرفوا من التراث اليونانى عن طريق مدرسة من المترجمين تولت ترجمة هذه العلوم إلى اللغة العربية .

وقد تغلغل المنطق الأرسطى فى صميم الفكر الإسلامى حيث تأثر به الفلاسفة الإسلاميون كابن سينا والفارابى والغزالى وابن رشد ، وتأثر به أيضا المتكلمون والأصوليون ، وإن كانت طائفة من الفقهاء ومن المفكرين المسلمين كابن الصلاح والنواوى وابن تيمية رفضوه وشنوا عليه حملة شعواء بل منهم من أفتى بتحريم دراسته والنظر فيه .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠

أبحاث المنطق :

لو تأملت الإدراك البشرى كله لوجدته يقوم على واحد من إدراكين :

١ — فهو إما إدراك بسيط لمعنى واحد مفرد أو لشيء واحد محدد كأن تتصور معنى «شجرة» أو «شمس» أو صديقك : «محمد» أو «منزلك» فى القرية أو تتصور معنى « قلم » أو « كتاب » أو « كلية » أو « جامعة » أو ما شئت من هذه المعانى المفردة التى تخطر ببالك حين تراها أو تسترجعها فى ذهنك حين تغيب عنك . مثل هذا الادراك يسمى فى علم المنطق : « التصور » ، وهو إدراك بسيط ساذج لا يتعدى استثبات معنى شيء مفرد فى الذهن .

٢ — أو إدراك تتصور فيه شيئين أو معنيين مفردين بينهما علاقة ما ، كأن تتصور أن « الشجرة خضراء » أو ، أن « الشمس مضيئة » ، أو أن صديقك : « محمد يحضر اليوم » . . . الخ ، فانت فى كل هذه الادراكات تتصور شيئين بينهما علاقة ، أو ، بعبارة أخرى: تحكم بشيء على شيء، ففى مثال الشجرة تحكم بالاخضرار على الشجرة ، ومثل هذا الحكم يسمى فى المنطق « التصديق » ، فالتصديق ليس إدراكا بسيطا ساذجا مثل التصور ، وإنما هو إدراك معقد فيه حكم بشيء على شيء ومعنى ذلك أن التصديق لا بد أن يتكون من تصورين ومن علاقة تربط بين هذين التصورين .

إن أبحاث المنطق الأرسطى كلها تدور حول هذين الإدراكين، فانت حين تجهل المعلوم التصورى فإن المنطق يرشدك إليه عبر بحث هام جدا يسمى « مبحث التعريفات » لأن هذه التعريفات هى التى ستتولى بيان وشرح وتعريف هذا المجهول التصورى ، أما إذا كنت تجهل « التصديق » فإن المنطق سوف يرشدك إليه عبر بحث هام أيضا . هو : « مبحث الاستدلال ».

وإذن فمبحث التعريف ومبحث الاستدلال يحتلان من المنطق الارسطى مكانة القلب الذى تدور عليه بقية الأبحاث الأخرى ، فمبحث التعريف يعتمد على مباحث أخرى تمهد له مثل مباحث الألفاظ ، ومباحث الكلى ومباحث الدلالة ، كما أن « الاستدلال » يعتمد على مباحث تمهد له كذلك مثل مباحث القضايا .

وفى الصفحات التالية نقتصر على دراسة المباحث الآتية :

١ — مباحث الألفاظ .

٢ — مبحث الكلى .

٣ — مبحث التعريف .

٤ — القضايا .

٥ — الاستدلال .

القسم الأول

مباحث الألفاظ

(أ) لماذا مباحث الألفاظ ؟

(ب) مبحث الدلالة .

(ج) تقسيمات الألفاظ .

(١) لماذا مباحث الألفاظ

من الملاحظات الأساسية فى دراسة منطق الحدود ذلك التساؤل المطروح حول حاجة المنطق إلى دراسة مباحث الألفاظ، فإذا كان الهدف من علم المنطق هو — كما قدمنا — ضبط قواعد التفكير فلماذا تبتدىء كتب المنطق عادة بدراسة مطولة — نسبيا — عن الألفاظ وتقسيماتها، فتبحث فى تقسيم اللفظ إلى مفرد وإلى مركب وإلى خبر وإلى إنشاء، ولماذا تهتم بدراسة الترادف والتباين والحقيقة والمجاز وهى كلها أبحاث لغوية بحته تتعلق بالألفاظ ؟ الإجابة على هذا التساؤل ذات شقين .

الشق الأول : أن الألفاظ لا تهم دارس المنطق فى المقام الأول ، ولكن لما كانت الألفاظ هى الوسيلة الوحيدة — الكاملة — التى يتم بها انتقال المعانى والأفكار بين الناس فقد اضطر دارس المنطق لأن يبحث فى الألفاظ باعتبارها أوعية للمعانى أو باعتبارها رموزاً دالة على المعانى ، بحثا يخدم الوجهة المنطقية التى يهتم بها ، وما دامت الألفاظ قد وضعت فى الأصل إلى جوار المعانى لتلفت إليها الأذهان فقد أصبحت هناك علاقة وثقى لا تنفصم بين اللفظ وبين المعنى ، بل أصبحت المعانى موجودة فى الألفاظ بحيث يصير اللفظ عند السامع هو المعنى ، والمعنى هو اللفظ ، ومن هنا قيل : « وجود اللفظ وجود المعنى » (١) .

وما دام أمر العلاقة بين ما يسمعه المرء من ألفاظ وما يفهمه منها من معان بهذا الاتحاد فمن اللازم إذن أن تحدد الألفاظ تحديدا دقيقاً وصارما من حيث دلالتها على معانيها ، وإلا لم تأمن أن يكون اللفظ فى واد والمعنى فى واد آخر ، وبالتالى تفهم الأمور وتستتر الحقائق .

---

(١) محمد رضا المظفر : المنطق مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٨م ص ٣٣

الشق الثانى : أن دارس المنطق سوف يتعرض فى مباحث « الدلالة » إلى اعتبار نوع من أنواع الدلالة دون نوع آخر، ومعنى ذلك أنه مضطر لأن يعرف من الأصل مبحث الدلالة وهو من مباحث الألفاظ ، وقل مثل ذلك حين يشترط المنطقى فى التعريف الاحتراز عن الاشتراك وعن المجاز وغيرهما ، وكلها من مباحث الألفاظ (١) .

وخلاصة القول أن أهمية مباحث الألفاظ فى دراسة المنطق تنبع من أمرين :

١ — من ارتباط الألفاظ بالمعانى ارتباطا وثيقا وكأن الألفاظ والمعانى وجهان لعملة واحدة .

٢ — ومن احتياج المنطق لهذه المباحث فى بعض مراحله المتقدمة فى دراسة علم المنطق وسوف نقتصر من مباحث الألفاظ على مبحث الدلالة وبعض من مبحث تقسيمات الألفاظ .

---

(١) على محمد رضا : نقد الآراء المنطقية وحل مشكلاتها ، مطبعة النعمان (بدون تاريخ) ص ١١٤

(ب) مبحث الدلالة

معنى الدلالة :

مما لا شك فيه أن كل لفظ مستعمل من ألفاظ اللغة له دلالة محددة على معنى معين من المعانى ، وليست هذه الدلالة وقفا على الألفاظ فقط ، بل يشاركها فى هذه الخاصية كثير من الحركات والإشارات الغير اللفظية ، فأنت إذا سمعت « لفظ » باب ، فان هذا اللفظ يدلك من فوره على شكل الباب المعروف ، وانت إذا سمعت تأوه أو أنين شخص ما ، أدركت أن هذا الشخص يعانى من ألم نزل به ، لكنك أيضا قد ترى أثر قدم على الرمال فتفهم أن ها هنا كائناً كان يمشى على تلك الرمال ، أو ترى إشارة المرور حمراء فتفهم أن السير ممنوع وتتوقف بسيارتك ، أو ترى حمرة فى وجه محدثك فتستدل منها على أن صاحبك به حياء وخجل .

وهكذا قد يكون الأمر الذى يدلك على معنى ما من المعانى لفظا أو صوتا أو شيئاً من الأشياء ، وقد اصطلح المناطقة على تسمية « اللفظ » أو « الصوت » أو « الشىء » بالأمر الدال ، كما اصطلحوا على تسمية المعانى التى تثيرها فى الذهن الألفاظ أو الأصوات أو الأشياء بالأمر المدلول ، ومن هنا عرفوا الدلالة بأنها « فهم أمر من أمر » ويقولون ، الأمر الأول هو المدلول ، والأمر الثانى هو : الدال .

أقسام الدلالة (بشكل عام) :

وإذا كان الأمر الدال قد يكون لفظاً (مثل دلالة لفظ باب على الشكل المعروف) وقد يكون غير لفظ (مثل دلالة الأثر أو الضوء الأحمر مثلا) فمن الطبيعى إذن أن تنقسم الدلالة بشكل أساسى إلى قسمين رئيسين :

دلالة لفظية : وذلك إذا كان الدال لفظاً أو صوتاً .

دلالة غير لفظية : وذلك إذا كان الدال غير لفظ ولا صوت .

وكل من الدلالة اللفظية والدلالة الغير اللفظية تنقسم إلى: عقلية وطبيعية ووضعية ، وإليك بيان هذه الأقسام .

أقسام الدلالة اللفظيـة :

١ — الدلالة اللفظية العقليه : مثل ما إذا سمعنا صوت متحدث غير ظاهر لنا فعلمنا أن شخصا ما يتحدث ، فهذه الدلالة دلالة لفظية عقلية ، فهى لفظية لأن الدال فيها لفظ ، وعقلية لأن العقل هو الذى يحكم بضرورة التلازم بين الدال والمدلول ، وهذا التلازم يستحيل عليه عقلا أن ينفك بين الدال والمدلول .

٢ — الدلالة اللفظية الطبيعية : مثل دلاله التأوه على الألم أو دلالة التأفف على الضجر ، فكل هذه أصوات تفهم منها مدلولات معينة ، لكن التلازم هنا بين الأمر الدال والأمر المدلول ليس ضرورة عقلية مستحيلة الانفكاك مثل الدلالة اللفظية العقلية السابقة ، بل هو تلازم طبيعى أو عادى ، أى أن الناس قد طبعوا على أن يتأوهوا حين يتألمون ويتأففوا حين يضجرون ، فالملازمة هنا طبيعة ، وكان يمكن أن تختلف لو اختلفت طبيعة الناس فى التعبير عن الألم أو الضجر .

٣ — الدلالة اللفظية الوضعية : مثل دلالة الألفاظ على معانيها ، فكل لفظ مستعمل يدل على معنى مواز له بحيث إذا سمعته حصل المعنى فى ذهنك حصولا مباشراً ، والتلازم بين اللفظ وبين معناه فى هذه الدلالة ليس سببه العقل ولا الطبيعه ، وانما « الوضع اللغوى » أى أن الواضع الأصلى للألفاظ جعل لكل معنى من المعانى لفظا خاصا ربطه به بحيث

« إذا أحضر المتكلم اللفظ فكأنما أحضر المعنى بنفسه للسامع »(١) .

فاللفظ هنا يدل على معناه عن طريق الوضع اللغوى أوطريق الواضع الأصلى للغة ، ومن هنـــا سميت دلالة الألفاظ على معانيها « دلالة لفظية وضعية » .

أقسام الدلالة الغير اللفظية :

تنقسم الدلالة الغير اللفظية إلى نفس الأقسام السابقة :

١ — دلالة غير لفظية عقلية : مثل دلالة الأثر على المؤثر .

٢ — دلالة غير لفظية طبيعية : مثل دلالة أحمرار الوجه على الخجل أو دلالة اصفرار الوجه على الخوف .

٣ — دلالة غير لفظية وضعية : مثل دلالة الضوء الأحمر على الخطر والضوء الأخضر على الأمان ، ومن هذا القبيل دلالة الإشارات ودلالة الأسهم على الاتجاهات ، ودلالة الأجهزة على كميات الحرارة والرطوبة والضغط ، والسرعة والاتجاه .. الخ .

الدلالة المعتبرة عند المناطقة :

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن هو : هـــل الدلالة بأقسامها الستة معتبرة فى علم المنطق ؟ والإجابة بالنفى ، لأن المنطق لايهتم إلا بقسم واحد فقط من أقسام الدلالة اللفظية هو : « الدلالة اللفظية الوضعية » ، فهو لايهتم بالدلالة غير اللفظية بأقسامها الثلاثة لأنها دلالة محدودة وناقصة ، إذ لاتعم كل الأشخاص ، ولاتتحقق فى كل الأوقات .

ومن هنا لم يلتفت إليها علماء المنطق واسقطوها من الاعتبار تماما ،

(١) المظفر ، المصدر السابق ، نفس الموضع .

وكذلك أسقطوا من اعتبارهم الدلالة اللفظية العقلية والدلالة اللفظية الطبيعية لأنهما تختلفان باختلاف الطبائع ، والمنطق معنى بالاطراد والثبات فى قضاياه وأحكامه وإذن فلم يبق فى دائرة الاهتمام عند المنطقيين من أنواع الدلالات إلا « الدلالة اللفظية الوضعية » ، وذلك لما تتميز به من عموم ومن سهولة ، أما العموم فإن اللفظ من طبيعته أن يتناول المحسوسات ويتناول المعقولات أيضا ، وأما السهولة فلان دلالة اللفظ بالوضع على معناه لا تحتاج إلى أكثر من معرفة السامع بعملية الوضع أى علمه بأن هذا اللفظ موضوع لهذا المعنى ودال عليه ، وبناء على ذلك صارت الدلالة اللفظية الوضعية هى الدلالة الوحيدة المعتبرة عند علماء المنطق .

أقسام الدلالة اللفظية :

وإذا كانت الدلالة اللفظية الوضعية هى الدلالة المعتبرة التى يدرسها المنطق فانها بدورها تنقسم إلى ثلاث أقسام :

١ — المطابقية (أو : دلالة المطابقة) وذلك إذا دل اللفظ على تمام معناه الذى وضع له ، مثل دلالة لفظ كتاب على تمام معنى الكتاب أى على كل هذا الشكل المعروف من أوراق وصفحات وغلاف وأيضا مثل دلالة لفظ منزل على تمام معنى المنزل من حوائط واسقف وأرض وحجرات ، إلخ ، ومثل دلالة لفظ إنسان على تمام معنى الإنسان الذى هو « الحيوان الناطق » ، وسميت مطابقية لأن اللفظ الدال يطابق المعنى المدلول ويساويه .

٢ — التضمنية (أو : دلالة التضمن) وهى دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع له مثل دلالة لفظ منزل على بعض الحجرات أو دلالة لفظ إنسان على ناطق فقط .

٣ — الالتزامية (أو : دلالة الالتزام) وهى دلالة اللفظ على أمر خارج عن معناه الأصلى . لكن هذا الأمر الخارج لازم للمعنى ، مثل دلالة